**الندوة الأولى**

**هوية الأمة العربية الإسلامية في مواجهة**

**التحدي العلمي والتقنيات الحديثة**

**أدارها**

**الأستاذ الدكتور محمد أحمد حمدان، عضو المجمع**

**وشارك فيها:**

**الأستاذ الدكتور عبدالمجيد نصـير، عضو المجمع**

**الأستاذ الدكتور همـــــام غصـيــب، عضو المجمع**

السبت 23 شوال 1412 هـ 25 نيسان 1992 م

**كلمة**

**الأستاذ الدكتور محمد أحمد حمدانعضو المجمع**

أيها الحفل الكريم.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فأرحّب بكم أجمل الترحيب وأحييكم أطيب تحية، وأسأل الله العلي القدير أن يوفقنا ويهدينا إلى العمل الجاد النافع المنتج لما فيه خير الأمة وصلاحها.

إن موضوع ندوتنا لهذا اليوم موضوع حيوي مهم لما له من أثر كبير على مستقبل الأجيال في هذه الأمة، ولعلي قبل أن أقدم إليكم الزميلين الفاضلين المتحدثين في هذه الندوة، أقدم للموضوع ببعض الملاحظات الموجزة:

1. لقد اعتدنا عند بحث هذا الموضوع التركيز على عرض جوانب النقص وأسباب تخلف الأمة العربية الإسلامية عن مواكبة التطور العلمي والتقني في الدول المتقدمة، وكثيراً ما يتحول النقاش إلى تشخيص الداء في عدم توافر المناخ العلمي، والتقني الملائم للإبداع والإنجاز بما في ذلك عدم كفاية الدعم المادي لنشاطات البحث العلمي والتطوير التقني.
2. وخلافاً لهذا المنحنى، فإنني أرى أنه قد آن الأوان لأن ننطلق من ظروفنا وإمكاناتنا الحالية للوصول إلى مقترحات عملية من أجل الإسهام الفعال في التقدم العلمي، والتقني والاستفادة منه في تيسير أمورنا المعيشية، مع المحافظة على هوية الأمة العربية الإسلامية، بل دعم الاعتزاز والافتخار بمنجزات علمائها وباحثيها. وفي اعتقادي أن هذا المنحنى يجنبنا ما اعتدنا عليه من جلد الذات، ويترك المجال مفتوحاً للتفاؤل بالمستقبل العلمي والتقني لهذه الأمة.
3. وإن التقدم الهائل الذي يشهده عالمنا في حقل المعلوماتية والاتصالات يستدعي أن تعمل الأمة على الاستفادة من هذا التقدم بتوطين العلوم والتقنيات الحديثة في البلدان العربية الإسلامية، مع مراعاة تراثنا وقيمنا التربوية والأخلاقية والاجتماعية والصحية والنفسية والبيئية. ولا شك أنه يقع على عاتق المؤسسات التربوية والإعلامية أن تلعب دوراً أساسياً ومهماً في سبيل تحقيق ذلك. وغني عن القول، فإنه على كل بلد من البلدان العربية والإسلامية أن يعمل على نقل العلوم والتقنيات الحديثة إلى لغته الأم، لأن ذلك هو الأسلوب المنطقي الفعال الذي يؤدي إلى تيسير الفهم والاستيعاب الكامل، وبالتالي إلى إمكانية التميز والإبداع. كما أنه لمن الضروري أن يتم التنسيق والتعاون بين الدول العربية والإسلامية في جميع المجالات العلمية والتقنية.

4- وإن المؤسسات المعنية بالعلوم والتقنيات الحديثة عديدة في الدول العربية والإسلامية، إلا أن التنسيق والتعاون بين هذه المؤسسات ضعيف جداً إن لم يكن معدوماً. وأنه لأمر حيوي تنسيق جهود هذه المؤسسات لتبادل الإفادة من هذه الجهود ولتجنب الازدواجية والتكرار الذي يستنفذ الجهود البشرية والمادية دون جدوى.

5- ويذكر على سبيل المثال لا الحصر، التعاون في إنشاء مراكز بحثية وتقنية متخصصة تهدف إلى تركيز جهود العلماء العرب والمسلمين في حقل محدد والسعي إلى التميز والإبداع في هذا الحقل. هذا بالإضافة إلى التعاون في مجال تبادل المعلومات العلمية، وتبادل الزيارات بين العلماء والتقنيين، وكذلك التعاون في نشر المجلات العلمية المتخصصة. كما يلزم التعاون في اقتناء واستعمال الأجهزة والتجهيزات والمواد المكتبية التي أصبحت تكلف مبالغ طائلة. كما أنه من الضروري أن يتم التنسيق والتعاون في إنشاء المشاريع الصناعية التقنية عالية الكفلة التي لا يمكن أن تكون مجدية اقتصادياً إلا إذا توافرت لها أسواق عربية وإسلامية واسعة.

6- وفي مجال إبراز دور الأمة العربية الإسلامية في التقدم العلمي والتقني، فإنه لا بد من تأكيد دور العلماء العرب والمسلمين الذين استقطبتهم الدول المتقدمة للعمل فيها.. وفي الواقع، يوجد في الدول الغربية علماء عرب ومسلمون أفذاذ يسهمون بشكل فعال في الإنجازات العلمية والتقنية لتلك الدول، وقد حصل بعضهم على أرفع مراتب التقدير والتكريم. ومع أن كثيراً من هؤلاء العلماء يحمل جنسية تلك الدول، إلا أنه لا يمكن إنكار فضل البلدان العربية والإسلامية التي أنبتتهم وتعهدت تربيتهم وتعليمهم في المراحل الأولية من حياتهم العلمية.

7- وفي سبيل تثبيت دور العلماء العرب والمسلمين الذين يعملون في الغرب وتأكيده، لا بد من مد الجسور المتينة بين هؤلاء العلماء والبلدان العربية والإسلامية، التي يقع على عاتقها تسهيل عودة هؤلاء العلماء لمدة قصيرة أو طويلة للإسهام الفعال في توطين العلوم والتقنيات الحديثة، بل تدريب العلماء الشبان في الوطن على التطبيق العلمي الفعال لأساليب هذه التقنيات ووسائلها. وإنه لمن الممكن من خلال التخطيط السليم أن توضع خطة عمل وبرنامج زمني يحدد دور العلماء المغتربين في الإسهام في برامج التنمية الوطنية.

8- وأعتقد أنه لمن الضروري أن نعمل على إبراز دور العلماء العرب والمسلمين بالشكل المناسب، وذلك بأن تتولى إحدى المؤسسات العلمية العربية الإسلامية، حصر إنجازات العلماء العرب والمسلمين ومتابعتها، بهدف جمعها وإصدارها في نشرات دورية توزع في جميع أنحاء العالم، وبالتالي تصل إلى المؤسسات التربوية في العالمين العربي والإسلامي ليطلع عليها الناشئة فتزيد من اعتزازهم بهويتهم وتحفزهم على العمل الجاد من أجل التميز في مجال العلوم والتقنية .

وبعد، فهذه بعض الأفكار حول موضوع ندوتنا لهذا اليوم، تمهيداً لمساهمة كل من الزميلين الأستاذ الدكتور عبدالمجيد نصير، والأستاذ الدكتور همام غصيب.

**كلمة**

**الأستاذ الدكتور عبد المجيد نصيرعضو المجمع**

مع تحول العالم إلى قرية واحدة، بفضل تطور وسائل الاتصال، تواجه كل أمة إشكالية التميز والذوبان. فلم تعد الحدود الجغرافية، ووسائل الأمن، وجوازات السفر، وتأشيرات الدخول مانعاً لدخول أخطر ما يؤثر في الإنسان، ألا وهو الأفكار والمعلومات وأساليب المدنية، وتقنيات الحضارة. وصارت الغلبة في هذه الميادين للأمم القوية في هذه الأدوات المتقدمة في تطورها، وتواجه الأمم الضعيفة أو المتخلفة مشكلة حقيقية، في أنها ستفقد هويتها، وتذوب شخصيتها، وتضيع في مجاهل التاريخ.

وأمتنا العربية الإسلامية وهي في هبوط أحوالها، وضعف وسائلها، وتمزقها إلى دويلات وأنظمة، كُلُّ فـَرِح بمتعلقاته الصغيرة، تواجه هذا التحدي، وهي غير مستعدة له. ومع ما تحمل لنا الأخبار من أن أعداءنا في الغرب وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية قد انتهجوا منعطفاً جديداً في التعامل معنا، بأن لا يتعاملوا معنا على أننا أمة واحدة، ذات كيان راسخ في الوجدان، ممتد في المكان والزمان، بل على أساس أننا شعوب متناحرة، ودول متعادية ، فإن قضية التحدي لهوية الأمة العربية صارت لها الأولوية في الأحاديث. وحري بأهل الحكمة والثقافة والرأي أن يدقوا الظنابيب فزعاً لهذه الداهية الدهياء، فهم كطبيب الإنعاش الذي يصادفه مريض توقف قلبه. فليس له إلا مباشرة العمل بكل ما يستطيع، لأن الخيار الآخر هو الموت.

وقد أحسن مجمعنا هذا، مجمع اللغة العربية في بلد الرباط والحشد، إذ جعل من هوية الأمة العربية الإسلامية محور موسمه الثقافي العاشر. ودعا المحاضرين ليتناولوا هذا الوضع الخطير من زوايا متعددة. ويسعدني أن

أشارك زملائي في هذا الجهد في الحديث عن التحدي لهذه الأمة في ميدان العلم والتقنية.

وسأدير حديثي هذا على خمس فقرات:

1. **هل بالإمكان تمييز هوية أي أمة من الوجهة العلمية والتقنية؟**

أو كما يقال: هل العلم لا وطن له؟ ونعني بالعلم المعنى الضيق من المعارف مقابل كلمة (Science) والجواب هو أن العلم، أصلاً، لا وطن له، لأنه يبحث في حقائق مجردة من الحضارة والمدنية المتعلقة بالأشخاص والمجتمعات. إلا أن واقع الحال يدلنا على وجود خيط رفيع فاصل للتميز بين الأمم المتقدمة علمياً في هذا العصر. فللعلم نكهة يعتصرها من حضارة ذلك الشعب. واتجاهاته وفلسفته ومبادئه وقيمه. وبخاصة إذا أضفنا إلى العلم ما يسمى "أخلاقيات العلم". فنكهة العلم في اليابان هي خلافها في فرنسا أو الولايات المتحدة الأمريكية أو روسيا. ذلك أن الأمم حتى في هذا الميدان شبه المجرد تختلف في اهتماماتها، واختياراتها، وتطبيقاتها، وتعاملها مع نتائج العلم.

فلا أتصور مثلاً، لو أن أمة الإسلام كانت سباقة إلى اخترع القنبلة الذرية أن تسارع إلى استعمالها كما فعلت الولايات المتحدة مع اليابان في آخر أيام الحرب العالمية الثانية. ولأن العلم في الإسلام عبادة، وليستسلية أو وسيلة تدميرية، أو علماً لأجل العلم، فإن اختيارات هذه الأمة ستختلف عن غيرها. وبخاصة، لأن العلم اليوم له تكلفة مرتفعة من المال والمواد والبشر. فالعلم لخدمة الإنسان والإسلام! لا لتدمير الإنسانية. وهو لتعميق الإيمان بالله، وليس لتحدي الطبيعة.

ولهذا، يمكن أن نقول إن أمتنا العربية الإسلامية مدعوة اليوم أكثر مما مضى قبل أن تذوب وتختفي في عالم التقدم العلمي، أن يكون لها كيانها العلمي المتميز، وهويتها الواضحة، منبثقاً ذلك من قيمها وأهدافها،وإيمانها بالله، ورسالتها الإسلامية إلى الكون.

1. **واقع المواجهة العلميّة:**

يمكن أن نؤرخ لبدء المواجهة العلمية مع الغرب منذ حملة نابليون ودخوله مصر سنة 1798. وعندما جاء بعده محمد على باشا حاكم مصر، وكان طموحاً، وجد أن الحاكم القوي يحتاج إلى شعب متعلم، منتج، صحيح الأجسام، ذي صناعات مستقلة. وهكذا فتح المدارس والجامعات، وأنشأ كليات الطب والمستشفيات، وعمل المصانع. ومع أن هذا يعني أن المواجهة أثمرت إيجابياً قبل اليابان بأكثر من سبعين عاماً، إلا أن حالنا اليوم مقارنة مع حال اليابان هو مأساة. فنحن أمة متخلفة علمياً، ضعيفة مادياً، مستعمرة أرضاً وفكراً، متخاذلة عسكرياً، مجزأة إلى حد الانهيار، ضعيفة العزائم إلى حد الخـَوَر.

ويلاحظ، بأسى، أنَّ أخذنا للآداب والإنسانيات وأسباب المدنية عن الغرب هو أضعاف ما نأخذ عنه من العلوم والتقنيات والمصانع. نعم إن في الأمر مؤامرة، ولكننا نساعد في تنفيذها، لتظل أمتنا سوقاً استهلاكيةغير منتجة، تعتمد على عدوها في أسباب حياتها.

وجامعاتنا، بدلاً من أن تكون انبثاقاً عضوياً من مجتمعاتها، تتفاعل مع حاجاتها، وتعينها في حل مشكلاتها، وتأخذ بأيديها إلى مستويات التقدم، فإنها صارت وبالاً عليها. إذ صارت مؤسسات تفرخ التقليد للغرب، والانبهار بعلمه وحضارته. وفشلت في استنبات العلم والتقنية. وليس أدل على ذلك من أن نسبة إسهام العلماء العرب والمسلمين في الاختراعات العلمية، والتقدم التقني تكاد تكون صفراً. بل إن عالمنا العربي بجامعاته المئة، ومعاهده العلمية الكثيرة، وملايينه المئتين، لا ينتج من البحوث كـمّاً إلا جزءاً مما تنتجه الجامعات السبع، والمعاهد في الكيان الصهيوني.

ويمكن تلخيص هذه المشكلة فيما يلي :-

أ- المؤسسات العلمية خارجة عن المجتمع، ليست جزءاً عضوياً منه في إنشائها وأهدافها.ب- الاستغراب الأكاديمي منهجاً وخططاً وبرامج وأهدافاً، بل في هيئات التدريس والإشراف الإداري والأكاديمي.

ج- الانغلاق الأكاديمي للجامعات والمؤسسات العلمية، وتحولها إلى مؤسسات بيروقراطية هيكلية تهتم بديمومتها الورقية. وهذه المؤسسات صارت منغلقة بدل أن تكون منفتحة على المجتمع وهمومه وقضاياه وتحدياته.د- أنانية الأكاديميين والباحثين، وغلبة الاهتمام بالسيادة والسلطة وجمع المال عليهم بدل تكريس أنفسهم للعلم والاختراع والإبداع.

1. **مواصلة الاعتماد على الغرب المتقدم .**

في التجربة اليابانية نجد أنهم أرسلوا البعثات لمدة لا تزيد عن خمس عشرة سنة (1870 - 1885)، وعاد هؤلاء المبعوثون، لينشئوا الجامعات والبحوث، ويقودوا أمتهم إلى التقدم العلمي. ولم يمض وقت طويل حتى صار تعاملهم مع الغرب تعامل الند للند، وليس تعامل الرضيع مع المرضع. أما نحن، فبعد مئتي سنة من البعثات، لا نزال حيث نحن.

إن هذه ليست دعوة إلى الانغلاق، ولكنها دعوة إلى التميز والإبداع . فالمبعوث لا ينقل العلم فقط، بل ينقل الحضارة والمدنية، مما جعل مبعوثينا غرباء في بلادهم ومؤسساتهم. والتحدي هو أن لا يذوب هؤلاء المبعوثون في البلاد الأخرى، سواء أكان هذا الذوبان كاملاً في اختيار البقاء في ذلك البلد، أم ذوباناً فكرياً حضارياً، مع وجود أبدانهم في بلدانهم الأصلية.

وعلاج ذلك، بتقوية برامج الدراسات العليا، لتكون على المستوى العالمي، حيث لا نحتاج إلا إلى إرسال عدد قليل جداً ولفترات قصيرة، وأن نحرص على أن يكون هؤلاء المبعوثون من الممتلئين اعتزازاً بأمتهم،

المدركين لرسالتها الإنسانية، المستعصيين على الذوبان. ولقد آن الأوان لكي لا يظل هذا نزفاً دائماً باتجاه واحد.

1. **التحدي أمام الوجود الصهيوني، وما يسمى عملية السلام وما بعدها:**

سيظل الوجود الصهيوني على أرضنا في فلسطين وغيرها تحدياً قوياً دائما لأمتنا في كل ميدان. والتحدي العلمي التقني واضح، في أن هذا الكيان هو جزء من المنظومة الغربية المتقدمة بمؤسساته العلمية، وصناعاته وأبحاثه واختراعاته. فعنده مفاعلان نوويان قد أنتجا ما يقدر بأنه مئتا قنبلة نووية. وها هو يتعاون مع الولايات المتحدة في تطوير تقنيات واختراعات كثيرة، ومنها الصواريخ المضادة للصواريخ. وتقدمه الإلكتروني جعل الشركات الأمريكية تشتري من إنتاجه.

أما بعد عملية السلام، إذا أسفرت المفاوضات عن اتفاقيات، فسيكون التحدي هو الأصعب! لأن ما يخبئه هذا العدو لنا هو أن يكون يابان المنطقة تقدماً علمياً، وتكون عنده الشركات المنتجة. ونحن العرب سوق استهلاكية، وعمال في المصانع، وأرضنا تقدم ثرواتها من خامات لهم بأبخس الأثمان.

إن قضية ما بعد السلام هي قضية حياة أو موت لأجيال هذه الأمة ومستقبلها. وآن الأوان للمفكرين والإعلاميين أن يشرعوا بحملة إعلامية ضخمة ليوقظوا هذه الشعوب من أحلام الأوهام وسبات الفناء.

1. **نحو مستقبل مشرف :**

أقدم فيما يلي بعض الاقتراحات لتعين أمتنا في مواجهة التحدي التقني، لتخرج منه منتصرة بإذن الله:

أ- وجوب إعادة النظر في أهداف التعليم والبحث، وربطها عضوياً، بالمجتمع والإنتاج والتقدم.

ب- تقوية برامج الدراسات العليا والبحث العلمي لتكون على المستوى العالمي، من أجل الاكتفاء الذاتي، وتشجع الإبداع .ج- تقوية الروابط الداخلية بين الدول الإسلامية والمؤسسات العلمية فيها، وأن تصير المؤسسات المشتركة فاعلة حقاً في الميدان، وليكون هذا امتحاناً لوجودها. ولا بد من تبادل العلماء والباحثين والبرامج والخطط والنتائج.د- التركيز على هموم أوطاننا وشعوبنا وحلها، دون الاهتمام بالتقليد الأعمى، مع توجيه القوى البشرية والمصادر المادية نحو ذلك.هـ- تشجيع إقامة المصانع برأسمال مشترك بين الدول الإسلامية، وتشجيع قيام شركات إسلامية متعددة الجنسيات.و- تشجيع الأوقاف العلمية غير المشروطة لدعم البحث والعلم والإبداع دون حدود.ز- وضع برامج تربوية شاملة للبيت والمدرسة والشارع لإعادة الاعتزاز بهذه الأمة، وتوجيهها نحو الصناعة والعلم والتقدم التقني.ح- تأكيد هوية الأمة العربية الإسلامية في لغة العلم بينها وهي اللغة العربية، ومع الاهتمام بتراثها المجيد، وتنوعها الفريد.ط- تكريم الإبداع والمبدعين من علمائها على مستوى الأمة كاملة .ي- الاهتمام بالمبدعين، بالكشف عنهم في سن مبكرة، ورعايتهم رعاية صالحة شاملة، لأنهم الدم المتجدد والشباب الدائم.ك- نشر الوعي بقضايا الأمة من وجهة نظر إيجابية، وقابلية هذه المشكلات للحل، بدلاً من سدل ظلام اليأس، ونشر أنفاس العجز في الصدور والعقول.

وأسأل الله التوفيق والسداد، والإخلاص في العمل.

**كلمة**

**الأستاذ الدكتور همام غصيب**

**عضو المجمع**

أيُّها الحفلُ الكريم :

لا بُدَ أوّلاً من كلمة شكرٍ وتقدير أزْجيها للأستاذ الدّكتور رئيسِ المجْمَع ولزملائي الأفاضل، أعضاء لجْنَةِ الندواتِ فيه، على دعوتِهم الكريمةِ لي للمشاركةِ في هذه النـّدوةِ الموفـّقةِ بإذن الله.

ولا بُدَ ثانياً من الاعتراف بأنّ موضوعَنا اليوم أطولُ وأعرضُ وأعمقُ من أنْ تـَفِيَهُ حَقـَّهُ نـَدْوَةُ ساعةٍ أو ساعتيْن؛ فهو بحاجةٍ إلى أكثرَ من مؤتمرٍ متخصّص ومجلـّدٍ متعمِّق كي يُفـْصِحَ عن أبعادهِ ومكنوناته.

دَعُوني، إذاً، أتصدّى له بأنْ أحدِّدَ بعضَ محاورِهِ المهمّة وأتدبّرَ عدداً من الأفكارِ والنـّظرَات.. أملاً أنْ تنتظمَ هذه كافـّة ً- في نهاية المطاف- بعِقـْد ٍواحد.

**المحور الأوّل: الهُويّة ُالعربية الإسلاميّة ُوالعالـَمُ العربيُّ الإسلاميّ:**

نستطيعُ أنْ نتحدثَ عن هُويّةٍ وثقافةٍ عربيّةٍ إسلاميّة (دون شَرْطةٍ أو مائلة أو واو عطف)، وعن عالـَم ٍعربيّ إسلاميّ لأنّ هذا العالـَمَ كون تاريخياً، كـُلا ًمتجانساً لمْ تتمكـّنْ كل الاضطراباتِ الدّاخليّة ِوالغَزَوَاتِ والاجتياحاتِ من فـَصْمِهِ على الصعيد الثقافيّ والرّوحيّ. وامتدّت الحضارةُ العربيّةُ الإسلاميّة ُامتداداً شاسعاً في الزمانِ والمكان. وكان النـّاسُ ينتقلون بحريّةٍ تامّةٍ في هذا العالـَم، مثلهم مثل الأفكار؛ كما كانت العربيّة ُعموماًلغة َالنـُّخـَب ِالمثقـّفة.

أمّا اليوم فالوَضْعُ جدّ مختلِف: إذ ْإنّ معظمَ المسلمين موزّعون في دولٍ مشتتةٍ تكتنفـُها المشكلاتُ والصّعوبات من كلّ حِدْب وَصَوْب. وتـُعَد جميعُالدول الإسلاميّةِ المعاصِرَةِ بُـلداناً نامية ًعلى الصّعيدِ الصّناعيّ التـّقانيّ، حتـّى ولو كان بينها دولٌ من أغنى دولِ العالمَ، وأخرى من بين أكثر ِالدّولِ فقراً. وتبدو صورة العالـَم الإسلاميّ متصدّعة ًمفكـّكة ًإلى أبعد ِالحدود. فما الذي يَجْمَعُ - للوهلةِ الأولى - بين الجَبَليّ اليمنيّ أو الأفغانيّ، الذي يعدُّ كلّ "حديث" ومعاصِرٍ غَيْرَ إسلاميّ، والمدنيّ التركيّ أو المغربيّ الذي أضحى غربيّاً أكثرَ من الغربيّين؟ أضِفْ إلى ذلك أنـّه تولد داخل كلِّ بلدٍ إسلاميّ توتـّرٌ متفاقِمٌ بين النـُّخَبِ "المتغرّبةِ"، وحَلقـَاتِ المجتمع التقليديّة.

المشكلة أنّه حدثَ خـَلـْط ٌبين مَفـْهُومَيّ "التـّحديث" و"التـّغريب". فالمفهوم الأوّلُ يتـّفقُ تماماً مع روح ِالإسلام الشّاملة؛ بينما يمثـّلُ الثـّاني عدواناً بل غزواً فكريّاً يجبُ مقاومتـُه. من هنا، فلا تناقـُضَ بين الإسلام وظاهرة العلم والتـّقانة، التي تتحكـّمُ تحكـُّماً واسعاً في ترتيب العَلاقات ِالاجتماعيّة. والسّؤال الذي ينبغي أنْ يُطرَح هو: ماذا تستطيعُ هُوية ٌخصوصية ٌكالهُويّة العربيّةِ الإسلامية تقديمَهَ للتقدّم العلميّ والتقانيّ؟... قبل أنْ أجتهدَ وأجيب، دعُوني أتدبّر المحورَ الثـّاني.

**المحور الثـّاني: العِلمُ والتـّقانة ُالحديثة:**

ما العلم؟ بإيجاز، هو منظومة ٌمُنسَّقة ٌومُوَحَّدة ٌلسَبْر غَوْرِ الطـّبيعة، اعتماداً على طرائقَ تجريبيّةٍ وعَلاقاتٍ موضوعيّةٍ تـُكـْتشَفُ تدريجيّاً وَتـُؤكـَّدُ بمنهجياتِ بَحْثٍ مُحَدَّدة. أمّا التـِّقانة، فهي - بإيجاز ٍأيضاً- التـّطبيقُ العمليّ في وسط ٍاجتماعيّ ثقافيّ مُعَيّن لاكتشافاتِ العِلـْم "البَحْت". ومع أنّ المفهومَيْن متباينان نظريّاً، إلا أنهّما مترابطان في واقع ِالحال ترابطاً جدليّاً قويّاً: فالعلمُ يولـّد تِقاناتٍ جديدة ًتُـسْهمُ بدورها في تطوّر العلم... تطوّرُ العِلـْم والتـّقانة معاً خاضعٌ دون أدنى ريْب، إذاً، لتأثير الوَسَطِ الاجتماعيّ الثقافيّ الذي أنجَبَه. ومعنى ذلك أنّ ظاهرة َ(أوعمليّة) العلمِ

والتـّقانة ليست "محايدة"؛ فهي تعكسُ بعض الخيارات التي تكوّنُ بمجملِها "أيديولوجية" متكاملة. وهنا بيتُ القصيد. لهذا، لا بُدّ من وقِفة ٍمتأنـّيةٍ نستشفّ فيها مدلولَ هذه الملاحظةِ العميقة.

نلاحظ أولاً أنّ الدّعوةَ إلى العلم والتـّقانة، خصوصاً في المنابرِ التي تناقشُ التـّنميةَ الاقتصاديّة والنـّظام الدّوليّ الجديدَ المزمع إنشاؤه، قد غـَدَت اليومَ أشبه بالصّيغةِ السّحريّةِ والبلسم لكلّ داء. فأدخلتْ هيئةُ الأمم المتحدة في كثيرٍ من برامجها، أهدافاً مثلَ التـّرويج لنـَقلِ التـّقانة أو تحويلها إلى البلدان النـّاميةِ بفضل التـّعاونِ الدولي، وبالتالي تخفيض الفارقِ في مجالِ السّيطرةِ على المعارف ِالتّـقانية. مثلُ هذه الأهداف، الضّروريّة والمشروعة كما تبدو للوهلةِ الأولى، قد تزيد -على المدى المتوسّط- التـَّبعيَّة الاقتصادية للبلدان الأكثر ضَعْـفاً، وقد تسَرّعُ عمليّة َالتـّغريب ِعلى شكل ِاجتياح ٍبنيويّ وثقافيّ...مولّـدة بذلك من المشكلات الاجتماعيّة ما يَطغى على أيّ حُلولٍ تقدّمُها لمعضلة التـّنمية والحقّ أن جُلّ دول العالم الثـّالث لا تمتلك "أرضية صناعية" تستطيعُ التـّقانة أنْ تزدهر عليها. أضفْ إلى ذلك أنّ الدّولَ الصناعيّة تُـبْقي - بكلّ خـُبْث ودهاء- على تـَبَعيّةِ العالم الثـّالثِ بأنْ تبيعه تقانة غيْرَ ملائمةٍ أو لا قيمة لها... ناهيك عن السعر المرتفع، وعدم معرفةِ البلدان المشترية المعيارَ الذي حُدِّدَ به هذا السِّعْرُ.

ونلاحظ ُثانياً: إنّ العلمَ لا يَزيدُ من كميّةِ المعارف حَسْبُ، وإنّما يُغيِّرُ أيضاً طريقة التـّفكير نـَفـْسَها في الإنسان والعالم. وترتبط ُهذه الظاهرة بتطوّر القوى المنـْتجةِ التي تزيدُ بدوْرِها من العقلانيّة، وهلمّ جَرّا، في سلسلةٍ من التّفاعلات؛ فيتسارع التقدّم، البطيءُ أوّلَ الأمر، ثمّ تـُمسي سرعتـُهُ صارخةً مدوخةً. أمّا الروحانيّة: أي الأخلاقُ والتفكيرُ في المشكلاتِ الإنسانيّة والاجتماعيّة، فتتلكأ بالضّرورة وتعجزُ عن اللّحاق. لقد زَعَمَ

الغربُ القدرة على حلّ جميع المشكلات تقانيّاَ؛ لكن نظرتهُ المادّيّة هذه، المتهاونة بالقيم الرّوحيّةِ والثّـقافيَةِ، بدأتْ تفقدُ بريقَـها وأخذتْ قطاعاتٌ معيّنة تستنكرهُا.

نلاحظُ ثالثاً: إذاً، إنّ العلمَ اليوم "غربيّ". إنّه يبهرُ ويولّـد في نفوس ِالناسِ الرَجاءَ والثـَقةَ والأمن؛ لكنّه أيضاً مَرَضِي... بمعنى أنّ انفصالهُ عن القيمِ والأخلاق سَمَحَ له بأن يُخصّص أكثر من أربعين (40) بالمئة من إمكاناته المجهود ِالحربيّ؛ إذ إنّ المموِّل والمشجّعَ والمستهلِكَ الرَئيسيّ في البلاد الصّناعيّة لجميع الاكتشافات التي طبَعَتْ عَصْرَنا بطابعها كما سَتـَطبَعُ العصور القادمة، كان دائماً القوّاتِ المسلـّحة، والمؤسسة العسكريّة...خـذْ مثلاً الاكتشافات والاختراعات النّـوويّة، ارتياد الفضاء، التّـقانة الحيويّة والهندسة َالوراثيّة، المعلوماتيّة وشبكات الاتّـصالات المتقدمة، التدخّلاتِ المناخيّةِ... أضفْ إلى ذلك أنـَه من الجائز أنْ يُفضيَ تهاونـُهُ بتوازن ِالطبيعةِ إلى كارثة ٍبيئية رهيبة، نظراً لتبذيرِ الموارد ِالطبيعيّة ِوتراكـُمِ النّـفايات، بما فيها الفضلاتُ النـّوويّة.

على أيّ حال، لقد أسهمَ العلمُ الحديثُ إسهاماً كبيراً في دَفـْع عجلة التقدُّم الإنسانيّ، في المضمار المادّي على الأقلّ؛ فليس القصْدُ هنا محاكمَته، وإنـّما التّـساؤل حول حيادِه و"كـَوْنِيَـته". صحيحٌ أن العِلمَ "المحْض موضوعيّ؛ إذ إنّ التـّحيّزَ والتـّعسّفَ مناقضان له من حيث المبدأ، لكنْ هل يعني هذا أنْه حُرِّ من كلِ قيمةٍ ذاتيةٍ؟... نشكُّ في ذلك لأنّ العلم َنشاطٌ معرفيّ واجتماعيّ أيضاً، فهو يحملُ بَصَمَاتِ النـّاس أو المؤسّسات ِالتي أنتجَتـْه.

وقُـصارى القوْل: إنّ أيّ منظومةٍ علميةٍ ليست عامّة ولا محايدة. فلا بدّ من إعادة النَـظر في الأسس الأخلاقيّة والفلسفيّةِ التي أقيمَ عليها العلم

وتكييف عَلاقاتِهِ مع المجتمع والطّبيعة. وهنا تستطيعُ حضارات أخرى تقديمَ الحلول بعوْدتِها إلى روحها وارْثها الثقافيّ. وهذا تحَدّ بارزٌ لنا... ويقودُني بدوره إلى المحور الثـّالث.

**المحور الثـّالث: هويَتنا في مواجهة التـّحدّي العلمي والتقاني الحديث**

واضحٌ أنّ التقدّمَ العلميّ سيكونُ مقبولاً ومهضوماً من الأمّة فقط إذا انسجمَ مع الأصالة العربيّة الإسلاميّة. لكنْ لا يمكنُ رفضُ كلِّ صورةٍ للتقدّم جملة ًوتفصيلاً، لأنّ "الحداثة" ليستْ "غربيّة" فقط ، بل هي عالميّة، ولا يمكنُ أنْ نظلَّ بَمَعْزل ٍعن التقدّم العالميّ الذي يغـذّ الخُطى دون كـَلـَل أو مَلـَل. المحذورُ هنا أنّ استيرادَ التـّقاناتِ الأجنبيّة دون تمييز قد تكونُ له العواقبُ الوخيمةُ نفسُها لرفضها، وقد يدفعُ أحياناً إلى تناقُـضاتٍ دامية.

لقد جازف َالعالمُ الإسلاميّ اليوم بالانخراط ِفي عجلةِ التـّحديثِ السَريع. وتجري هذه التجاربُ التـّحديثيّة ُبشكل عشوائيّ. وهي جميعاً متأثّرة بدَرَجَاتٍ متفاوتة، بالنـّموذج الغربيّ؛ فلا تنهضُ فيها القيَمُ التقليديّة إلا بدور هامشي. هنا يكمن التحدّي الثقافيّ. فليس المطلوبُ طبعاً رَفـْضَ الحداثة، وإنـّما العثور على حُلولٍ أصيلة ومُبْدَعةٍ، خصوصاً أنّ البلدانَ الصناعيّة لا تشجّعُ عموماً التقدّمَ العلميّ في العالم ِالثـّالث إلا إذا كانت الخياراتُ متطابقة مع تصوّرها النظريّ الخاص ومصالحها الاقتصاديّة. المطلوب، بعبارة أكثـَرَ تحديداً، انتهاجُ سياسة جديدة ٍفي المجال الثقافيّ التربويّ تـُسهمُ في تغييرِ علاقة القوى الرّاهنة، التي تحافظ على تـَبَعيّةِ العالم الإسلاميّ للتـّقانة الخارجيّة بل تزيدُ منها، فتحولُ بذلك دون اكتشافِ بدائلَ مستقلـّة.

لا يستطيع العالم ُالإسلاميّ، وهويؤكـّد نـَفـْسَه، أنْ ينغلق، إذاً: سيكون

ذلك مخالفاً لتجربتِهِ التاريخيّةِ المعروفة، فضلاً عن أنّ العُزْلة تعني الموْتَ المحَققَ في المجال العلميّ. فالانفتاح (واعذروني على استعمال هذه الكلمة) يمثلْ عَزْماً سياسياً واختياراً اقتصادياً. ويمكن أن ينكب الجهدُ في بداية الأمر على إنشاء "الأمّةِ العلميّةِ الإسلاميّة"، على أساس أنّ توحيدَ أهلِ العلم أكثرُ سهولة من الوَحَدةِ السياسيّة. كما يجب أنْ يكونّ الجهْدُ قوميّاً أو إقليميّاً: فالعلم نشاط مشاركة.. الأمر الذي يتطلّـب العناية َالبالغة بالتّـعليم العامّ والمؤسّسة التـّربويّة.

ولا مَفرّ من الاعترافِ هنا بأنّ سياسة َالتـّنمية العلميّة والتـّقانيّةِ مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالأهدافِ الأكثر شمولاً للتنمية ِالاقتصادية. فالحلول النابعة من صُلبِ الأمة تـُجْهَضُ غالباً بسبب الإطار ِالاقتصاديّ العالميّ المرضيّ الراهن؛ إذ إنّ عالميّة الاقتصاد ِالمتزايدة تميلُ إلى الحدّ أكثر فأكثر من استقلال الحكومات الوطنيّة. وهكذا غَـدَتْ دائرة ُالمبادرةِ والاستقلالِ ضئيلة بالنسبةِ إلى الدولِ الأقلِ تقدماً.

لقد أقيمتْ جميعُ الحضارات الكبرى على المكوّناتِ الثلاثة الجوهريّةِ للطبيعة الإنسانيّة: المعرفة والعمل والوجْدان. فالعلمُ والتـّقانة يندرجان في باب "المعرفة"، و"العملُ" يتطابق مع الوعي المتزايد ِبالمسؤوليّةِ الاجتماعيّة لكلّ فرد، و"الوجدانُ" ينطوي على القناعة ِالروحيّة والاستمراريّة الثقافيّة. التحدي هنا أنْ نربط بإحكام بين هذه المكوّنات الثـّلاثة، متجاوزين حالة الجمود والسُّبات التي استطاع ابن خلدون أن يُعَبِّرَ عنها ببلاغة ٍوإيجاز.

والتحدّي أيضاً تحديدُ التوازُن بين هُويّة الأمّة وضرورة ِالتـّغير ِوالتـّواصلِ الثقافيّ.. بين الأصالةِ والتجديد.

والسّلام عليكم جميعاً، ورحمة الله ِوبركاته